بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (١)

صدق الله العظيم

المقدمة

إن قضية القرن الآفريقى والمشاكل التى تواجهه هي اليوم قضية الساعة، وهى تشمل مجموعة قضايا متفرعة فى المنطقة وتنتقل فيما بينها. وقد تناولتها في هذا الكتاب بإسهاب. وتتأثر بها أيضا سياسات دول المنطقة، بصورة مباشرة وغير مباشرة؛ نظرا لأهمية هذه المنطقة لما لها من أهمية استراتيجية كبيرة، نتيجة لموقعها الجغرافى، الذى يجعلها تتحكم فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر، ولقد وضحت هذه الأهمية منذ فجر التاريخ، وإن المراقب الذى واكب تطور هذه المنطقة المتوترة من العالم الثالث رأى كيف تسارعت الأحداث فيها خلال السنوات السبع الماضية منذ بداية عام ١٩٩٠ لترسم صورة جديدة تماما، صورة قد تبدو غير مألوفة أو متوقعة بالنسبة للكثيرين .. وبالتالى، فهى مفتوحة على تطورات يصعب التنبؤ بأبعادها في المرحلة الراهنة خاصة وأن أجواء الشك وعدم الاستقرار لا تبدو فى سمات القرن الأفريقى وحده، وإنما تمتد إلى معظم أجزاء القارة وخاصة منطقة البحيرات العظمى:

الجوار الجغرافى، والتداخل البشرى وعلاقات القربى والتفاعل التاريخى والحضارى بين المنطقة العربية والقرن الافريقى، عبر قرون طويلة

(١) قرآن كريم: سورة النساء، الآية ٥٨ .

من الزمان والمكان المشتركين بكل تفاعلاتهما، التاريخية والدينية والثقافية وعلاقات المصالح المشتركة ..

وحتى إذا ما غمضت العيون عن ذلك كله أو أشاحت الأنظار بعيدا، كما فعلت عديد من الدول العربية خلال العقود الماضية، فإن هناك أسباباً استراتيجية؛ أخرى بالغة الأهمية لن تتحقق بالتجاهل أو الابتعاد عن المنطقة نظرا لأن أمن المنطقة العربية يتقاطع فى عدة حلقات مع القرن الافريقى من منظور: الأمن الاستراتيجى بمفهومه العريض بالنسبة لكل آسيا العربية ووادى النيل، وأمن النفط، وأمن الماء وأمن البحر الأحمر بكل ما يعنيه كعقدة مواصلات حيوية ترتبط بالأمن الغذائى والاقتصادى لكل دول الخليج العربية . بالإضافة إلى التقاطع البالغ الخطورة أيضا مع الصراع العربى - الإسرائيلى.

وكما هو معروف عند أى حديث عن القرن الافريقى، تقفز إلى الأذهان مباشرة أربع دول حسب التقسيم السياسى المعترف به دوليا حتى الآن، وهى الصومال وجيبوتى وإريتريا وإثيوبيا. ولكن القراءة المتعمقة للبنية الجغرافية والبشرية والتاريخية والاقتصادية وحركة السكان، تدفع إلى هذه الدائرة على الفور بكل من كينيا والسودان، وقد تتسع أيضا لأوغندا وتنزانيا.

فإذا اكتفينا لأغراض هذا الكتاب بالحقبة الأكثر ترابطا، والأعنف مخاضا الآن، يمكن الحديث عن القرن الأفريقى كوحدة جغرافية - سياسية إقليمية تضم الصومال، وإريتريا، وجيبوتى، وإثيوبيا، والسودان، وإذا كان من الصعب استبعاد كينيا بأى مقياس من المقاييس، وخاصة لأنها

تضم منطقة الصومال (الكينى) المتنازع عليها؛ فإن كان الهدوء الذى تشهده يغرى بتجاهلها.

ولقد تناولت فى هذا الكتاب التحديات السياسية والوحدة الوطنية، التى تواجه منطقة القرن الأفريقى عموما وإريتريا والصومال وإثيوبيا فى القرن الحادى والعشرين. وكان التركيز على إريتريا كنموذج، مع تناول باختصار عن تجربة التحول الديمقراطي فى إثيوبيا والصومال؛ لأن هموم هذه المنطقة واحدة وما يحدث فى إحداهما ينعكس سلباً أو إيجاباً إلى الأخرى ولقد حظيت أريتريا بكثير من التركيز؛ باعتبارها دولة حديثة الاستقلال وتستحق منا الدراسة.

لا شك فى أن التطورات الراهنة وكل المستجدات التى مرت بها قضيتنا الوطنية في إريتريا تتطلب منا وقفة جاده مع النفس، بعد أن تم انجاز الاستقلال الوطنى والانتقال من المرحلة الانتقالية منذ عام ١٩٩١ - ١٩٩٧ تحت حكم الجبهة الشعبية للعداله والديمقراطية إلى مرحلة جديدة إلى تأكيد الديمقراطية والتعددية السياسية التى تحقق وتؤمن بالعدالة الاجتماعية والحرية والمساواة، وخلال الانتقال بشرعية الدولة الدستورية، وإن الهروب من مواجهة هذه الحقائق أو تجاهلها، يعرض بلادنا وشعبنا إلى مخاطر كثيرة تهدد مستقبل إريتريا برمته آجلاً أم عاجلاً.

ولهذا، فإن المعركة الحالية لشعب إريتريا لا تختلف عن معارك شعوب العالم الثالث عموما وشعوب أفريقيا على وجه الخصوص، هذه المعركة هى معركة التطوير المستمر والتقدم بالوطن خطوات إلى الأمام، عن إيمان بأن التحدى الحقيقى الذى تواجهه الأوطان هو تحقيق التقدم، والتقدم

لا يحدث تلقائيا أو بمجرد الوقوف عند إطلاق الشعارات، وإنما القوة الدافعة لهذا التقدم في إطلاق جميع الإمكانات والملكات الخلاقة والمبدعة لشعبنا، إلى سجل أسمى آيات الكفاح في حركة متناسقة ومتحدة.

لقد خاض شعب إريتريا تجربة تلو أخرى، وقدم أثناء هذه التجارب الكثير واسترشد خلال ذلك بتجارب الإنسانية جمعاء وطنية وقومية وعالمية عبّرت عن تجربته الأخيرة في هذا الانتصار العظيم.

ويجب ألا يغيب عن الذهن حرية الإنسان الإريتري، عن إدراك لحقيقة عليا وهي أن إنسانية الإنسان وعزته: هو الشعاع الذي هدى خط سير التطور الهائل الذي قطعته البشرية نحو مثلها الأعلى.

إن كرامة الفرد إنعكاسٌ طبيعي لكرامة الوطن، وذلك أن الفرد هو حجر الأساس في بناء الوطن، وبقيمة الفرد وبعمله وبكرامته تكمن مكانة الوطن وقوته وهيبته.

إن سيادة القانون ليست ضمانا مطلوبا لحرية الفرد فحسب، لكنها الأساس الوحيد لمشروعية السلطة في الوقت ذاته.

إن تحالف وانصهار فئات الشعب وطوائفه هي صمام الأمان لتقدم الوطن.

وضمن هذه المعطيات فمن حقنا أن نحلم بمستقبل أفضل، لنا ولأبنائنا وأحفادنا من بعدنا، من حقنا أن ندق الناقوس من الآن فصاعداً، فالتقدم لا يأتي مصادفة، والحرية لا تهبط من السماء مع أمطار الشتاء.

لكنهما - التقدم والحرية - من صنع الإنسان من نتاج فكره وعمله، حلمه، وأمله، قوته وإبداعه.

دعونا نحلم بأن نقفز فوق السدود والأشواك والعقبات، نقفز فوق الماضى والحاضر، ونتطلع إلى مستقبل زاخر بالديمقراطية وتكنولوچيا التقدم فى بلادنا.

وهناك من يحاول اليوم إغماض العين عن دروس التاريخ، والتغاضى عن خطايا التخلف والقهر والاستبداد.

وفى هذه العجالة نتقدم بالمقارنه بين التقدم والتخلف، وبين الحرية والاستبداد ومساوئ كل منهما، وبين الديمقراطية الحديثة والحكم الفردى، بين الدستور والرأى المطلق، بين الأحزاب كمؤسسات سياسية والمنافقين الموالين للسلطات، وبين حقوق الإنسان وحقوق الحكام، وبين استنارة المثقفين وخضوع المنافقين، بين سيادة القانون وسيادة السيف.

ليست من مصلحة أحد زرع أسوار العداء، وألغام التناقض. هؤلاء المنافقون أنصاف المثقفين هم الذين يضعون العقبات أمام التقدم الحقيقى لبلادنا، ويضعونها على شكل ألغام فكرية وسياسية، ودينية، وأخلاقية، واقتصادية واجتماعية، عندما يروجون بأن إريتريا لا تصلح فيها الديمقراطية، ويختلقون مبررات وهمية، ويعلنون الحرب على الديمقراطية، ويزرعون التناقض بين أبناء المجتمع الواحد.

إن الديمقراطية الحقيقية اليوم، تهزنا من الأعماق حاضراً ومستقبلاً وسوف تصبح إعصاراً عاتيا، لا يصده الزيف والادعاء الكاذب والتلبيس الملفق.

فدعونا نتابع بعض ملامحها والتى أوردتها فى هذا الكتاب، وخاصة بعد بزوغ شمس الحرية واكتمال الشروق فى إريتريا الدولة، والتى

كان يحلم بها الجميع. وبعد أن حدثت تطورات فى منطقة القرن الأفريقى من تحول ديمقراطى فى إثيوبيا بعد عهد الاستبداد وحكم الفرد. ولذلك من باب الأجتهاد الشخصى والإسهام المتواضع، رأيت من واجبى بعد المرحلة الانتقالية التى مرت بها بلادنا أن أطرح هذا الكتاب أمام مناقشة علنية واسعة أمام جماهيرنا لتأكيد مفهوم الديمقراطية، التى نريد أن يرتديها شعبنا، بعد أن أنجز استقلاله الوطنى فرصة لترسيخها علي أسس قانونية ودستورية وخاصة أنه ثبت بالدليل العلمي أن حقوق الإنسان والحريات العامة، هي سمة العصر وشعاره وصيانتها أفضل وأسهل من إهدارها، ولذلك ندعى أنها لا تصان فقط بالنصوص القانونية وحدها، ولكنها تصان بالممارسة السلمية والتراكم التاريخى المستمر جيلاً وراء جيل، وقد أثبتت التجارب أن الاتجاه نحو الديمقراطية بكل أشكالها وأساليبها هو الاتجاه الغالب في عالمنا المعاصر، ولم يعد في مقدور أحد - مهما بلغت سطوة سلطته وجبروت قوته - أن يوقف هذا التيار، أو أن يقف في وجهه، وإلا ضاع في الزحام وهكذا. إن جوهر هذا التوجه الغلاب نحو الديمقراطية، يمكن من مبدأ تداول السلطة وتبادل المواقع، وحق الجميع فى المشاركة، في صنع القرار هذا وإلا سوف تدخل إريتريا في نفق مظلم لا يعلم مداه إلا الله، كما أن أزمة الديمقراطية سوف تجرنا إلى فوضى وعدم الاستقرار والأمن الذى ننشده جميعا، ومن هنا ينبع اهتمامنا بالديمقراطية في إريتريا، وبقية دول القرن الأفريقى.

يجب أن ننظر إلى واقعنا نظرة واقعية، إلى المستقبل السياسى فبحكم معطيات الواقع الداخلى والدولى، لن يتمكن أى طرف من الانفراد بالحكم والاستئثار به ولو صعد إلى السلطة على سلم طويل من جماجم الطرف الآخر، أو استمر فى الصراع الدموى لسنين عديدة، حيث تحتم

المعاناة الإنسانية للمجتمع مع استنفاد طاقة الضعف والتوصل إلي نهاية عملية للصراع، والعودة إلي الصيغ السياسة العملية الجامعة لمختلف القوى المجمعية والسياسية.

قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

وفى صفحات هذا الكتاب مادة متواضعة كتبتها في فترات متقطعة في أثناء مناقشة مفوضية الدستور الإريترى؛ ولمواجهة تساؤلات وإثارة نقاشات داخل الجماهير الإريترية قاطبة؛ وذلك من أجل تعميق مضمون الثقافة الديمقراطية فى إريتريا بصدد الاستفادة من «الحوار ودروس التاريخ».

والحوار يفترض الجدل ويستهدف إقناع الآخرين بأخطائهم. والحوار في معناه الأفلاطونى قائم علي مبدأ أن كل الأفكار والثقافة موجودة فى عقل الإنسان. تقدمت بهذا الكتاب بعد أن انتهت دولة إريتريا من مرحلة الشرعية الثورية الناشئة والانتقال في البدأ بنظام الشرعية الدستورية، بعد أن تم انجاز الدستور الاريترى، والذى كان من المفترض أن تراعى فيه الدولة الإريتريه ونخبتها الحاكمة، تعميق الأسس السليمة لقيام دولة حديثه ديمقراطيه، تؤمن بالتعددية السياسة، وتعبر بصدق عن شعبها المناضل الذى قدم مئات وآلافاً من التضحيات لقيام مثل هذه الدولة، التى كان يحلم بها كل مواطن فى الداخل والخارج، ولكن مع الأسف! لم يتم

(١) قرآن كريم : سورة الغاشية، الآيات ٢١ / ٢٦ .

إقرار بعض الأمور، التى تعد من الثوابت الوطنية وأهمها مسألة إقرار التعددية السياسية وتحديد اللغة وغيرها من الأمور، التى كان يجب أن تكون واضحة دون لبس صراحة؛ لأن التشريع لا يمكن أن تكون فيه اجتهادات. وتغير المواد القانونية بالمزاج وفق الأهواء لا يجوز فيها، وهذا ما يحز فى أنفسنا فبعد ثلاثون عاماً من النضال نعود إلى النقاش فى هذه الأمور من حيث بدأنا لا من حيث انتهينا.

ولقد كان نضال الشعب الإريتري نضالاً فريداً، من حيث إنه وقف أمام القوى الداخلية سواء منها ما كان ظاهراً أو متخفياً، وكذلك أمام المعتدى الخارجى، لهذا فإن انتصار إريتريا فى النهاية هو انتصار متعدد الوجوه والأبعاد، من حيث إنه انتصار على قوى الاستعمار بأشكاله المختلفة سواءاً كانت ثقافية أم اقتصادية أم سياسية.

ولهذا، فإنه يقع التزام كبير على فئات هذا الشعب وشرائحه الواعية ونخبته الحاكمة أن تعطى المثل الأكبر فى الاستقرار؛ لتعبر عن هذا الشعب أصدق تعبير وأول هذه التحديات كانت معركة وضع الدستور ليلائم الجميع، الذي يعتبر المرآة الحقيقية للشعب ونظام حكمه، ولكن ما أقر لا يتفق مع الواقع مع الأسف الشديد!.

حيث كنا نأمل أن يأتى الدستور متماشياً مع ظروف وواقع الشعب الإريترى، وكان يتعين على واضعى الدستور الإقرار بواقع الشعب الإريترى، حيث إنه يشمل طائفتين، تدين الأولى بالإسلام من ناحية، والطائفة الأخرى لا تقل أهمية عن الأولى تدين بالمسيحية، ولهذا كان يجب أن يؤخذ هذا الواقع في الاعتبار، حتى يظل هذا الشعب وحدة واحدة - كما كان عندما حمل السلاح للدفاع عن أرضه، وهذا الواقع يتمثل فى

الطائفتين الكبيرتين من هذا الشعب تدين إحداهما بالإسلام وتتكلم اللغة العربية ، والأخري تدين بالمسيحية وناطقة باللغة التيجرينية. هذا الاختلاف فى لغة التعبير لا يعد مع ذلك اختلافاً فى الثقافة. فكلتا الطائفتين لهما ثقافة واحدة من حيث إنهما تكونان أحد شعوب أفريقيا التي عاشت تاريخا يكاد يكون واحداً، وهما أيضا تمثلان شعبا من شعوب القرن الأفريقى. وعندما أؤكد بأننا مسلمون ومسيحيون ليس من باب التعصب ولكن من باب الا نقفز فوق الواقع بحجج واهية، قد يكون لها انعكاس في مجريات الأحداث فى إريتريا فى المستقبل القريب. وتظهر هذه الانعكاسات عندما تستأثر فئة ضد فئة وتهميش فئة على حساب الفئة الأخرى وهذا ما لا يجب أن يكون.

وهنا، قبل أن أختتم هذه المقدمة أود أن أعبر عن سرورى لترجمة هذا الكتاب باللغة الإنجليزية؛ لتتاح الفرصة لعدد كبير من أبناء وطننا للاطلاع عليه، وخاصة في هذه اللحظة المناسبة من تاريخنا المعاصر، بعد أن عبرنا حق تقرير المصير إلي بناء الدولة الحديثة، والتي نتمنى أن تكون علي أسس ديمقراطية تمشياً مع روح العصر الذى نحن فيه، وآمل أن تكون ردود فعل القراء - وخاصة من أبناء - وطننا مصدر إثراء للخطاب الأفريقى حول حقوق الإنسان والديمقراطية والتعددية السياسية، والتي نتمنى أن تسود بلادنا بعد أن أنجزنا استقلالنا الوطنى. وكلي أمل أن أوفق فيما عرضت من الحقائق وتحليلها بصدق وموضوعية، كما أتمنى من صميم قلبى أن يسهم هذا الكتاب في خدمة مستقبل بلادنا ولولا إيمانى به لما تجشمت عناء إصدار هذا الكتاب، وأختتم كلمتي بقوله تعالي:

• إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ.(١)

صدق الله العظيم

(١) قرآن كريم: سورة النحل، الآية ١٢٤

وما ذكرته عن إريتريا أيضا ينطبق على كل دول منطقة القرن الأفريقي، سواء كان في إثيوبيا أو الصومال وجيبوتي وإريتريا، لأن مشاعر وهموم أبناء هذه المنطقة واحدة لا تتجزأ، ومن هنا كان اهتمامي أيضا بها وتناولتها في هذا الكتاب لأن القضية مشتركة والهم واحد.

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾

* أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ
الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ

صدق الله العظيم

إذا أردنا أن نكون حريصين على وحدة الشعب؛ فليعلم الجميع من الذين يؤمنون بأن الدين لله والوطن للجميع ولكن بحقوق متساوية وعادلة في جميع المجالات بما فيها السلطة وصنع القرار في بلادنا.

---

(١) قرآن كريم: سورة يونس الآيتان ٨٥ ، ٨٦ .

(٢) قرآن كريم سورة الحج، الآية ٣٩.

الفصل التمهيدى

المحتويات:

١ - نبذة موجزة عن «إريتريا».

٢ - الأثر الجغرافى فى تكوين سكان إريتريا.

٣ - الموقع.

٤ - تسمية إريتريا قديما وحديثا.

١ - نبذة موجزة عن إريتريا:

لأريتريا تاريخ حافل بالأحداث الممتدة فى عمق التاريخ، حيث كانت ما قبل القرن الرابع الميلادى، تتكون من عدة أقاليم: أكلى قوزاي، حماسين، سراى فى الهضبة إضافة إلى الأقاليم الشرقية والغربية.

وكانت تلك الأقاليم، تتمتع بالاستقلال الذاتى، وكان يحكمها ملوك وسلاطين أهلها، الذين أوجدوا فيما بينهم نوعاً من التحالف لحماية أرضهم وممتلكاتهم، من الغزوات المتكررة من الشمال والجنوب، فذلك حتى القرن الثامن الميلادى.

ثم توافدت عليها الحملات الاستعمارية البرتغالية، والتركية، والإيطالية، والبريطانية، ثم الاستعمار الأثيوبى، فى مختلف مراحله.

لكن إريتريا هذا الرمح الملتهب، لم تخنع أو تخضع لكافة أشكال الاستعمار، فكانت بحق مقبرة للغزاة، الذين لم يهنأوا بالراحة أبداً[١].

الأثر الجغرافى فى تكوين سكان إريتريا:

كثيرة هى البلدان التى يتأثر وجودها، ومصيرها بموقعها الجغرافى وبما يشمله ذلك الموقع من المناخ وظواهر طبيعية (صحارى وغابات وجبال - أنهار وشواطىء... إلخ) وما يرافق ذلك من إمكانيات تحت الأرض (بترول - معادن وغيرها) أو فى البحر (أسماك - أصداف لؤلؤ)) وفوق

---

(١) حسين الحسني: إريتريا ميلاد أمة وتاريخ إسلامي عريق، مجلة منار الإسلام - الكويت غرة المحرم ١٤١٥ هـ الموافق ١٩٩٤.

هذا وذاك استراتيجية الموقع وما يمكن أن يمثله من مركز جذب لأهتمام ومصالح الآخرين»[1].

وإريتريا تتميز بأنها تجمع بين كل ما أشرنا إليه، وربما غداً كان وما يزال وسيكون نتيجته ذلك الموقع الجغرافى المتميز. صحيح أن «التاريخ هو المحرك الأساسى لنضاله»، ولكن «الجغرافيا» لها دورها الهام خاصة وإذا كانت فى مثل إريتريا.

والتاريخ فى نهاية المطاف ما هو إلا حصيلة مجهودات الإنسان ونضاله وطموحاته وانجازاته، التى تتأثر بدورها بما يكون من توافر فى الواقع «الجغرافيا»، وما يحيط بذلك على المستويين الإقليمى والدولى[2].

وتبلغ مساحة إريتريا ١٢٤.٣٢٠ كيلو متراً مربعاً، وتمتد الجزر الإبترية وعددها ١٢٦ جزيرة إلى منتصف البحر الأحمر، وتتحكم سواحلها الممتدة على طول ألف وثمانية كيلو مترات فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر شمال باب المندب، هذا الموقع الإستراتيجى الهام جعل إريتريا عبر التاريخ محط أنظار الغزاة الطامعين، وكان من الطبيعى أن يكون تاريخ البلاد سلسلة من الحروب بين أهل البلاد من جهة، وموجات الغزاة المتعاقبة من جهة ثانية.

---

(١) محمد عثمان أبو بكر: بحث غير منشور عن جغرافية إريتريا، معهد البحوث والدراسات الأفريقية - القاهرة ١٩٩٦/٦/٦.

(٢) جبهة التحرير الإريترية: دائرة الإعلام: إريتريا بركان القرن الأفريقي. منشورات الاعلام الخارجى - دمشق ١٩٨٢.

وكان لابد من هذه الإشارة قبل أ ن نعطى لمحة صغيرة عن الموقع الجغرافى.

٣ - الموقع:

تقع إريتريا Eritrea على الساحل الغربى للبحر الأحمر، المقابل لشبه الجزيرة العربية، وبين خطى عرض ١٥ - ١٨م شمالاً، وطول ٣٦/٤٣م شرقاً، وتبلغ مساحتها ٥٠٠٠٠ ميل مربع تقريبا على امتداد ٨٠٠ كم، وتشكل مثلثا غير منتظم الأضلاع وطوله من القاعدة وارتفاعه زهاء ثلاثمائة ميل، وينحدر من الطرف الشرقى للقاعدة لسان أو ممر طويل ضيق ملاصق للبحر الأحمر[١].

وتقع فى المنطقة المدارية الشمالية من الكرة الأرضية بين دائرتى العرض ٢ ,١٨ غرب درجة رأس قصار على الحدود السودانية من الشمال، و٢٤ ,١٢ درجة على حدود جمهورية جيبوتى وذلك فى النصف الشمالى من الكرة الأرضية[٢]، وتأخذ إريتريا شكل مثلث ممتد من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ترتكز قاعدته على حدود السودان بينما تنتهى خلفها الطويل برأس يمتد على حدود جمهورية جيبوتى بمقدار ٥٠ كيلومتراً[٣].

وإن موقع إريتريا بين خط الاستواء جنوباً ومدار السرطان شمالاً، يجعلها تصنف بصورة عامة ضمن المنطقة الشمالية.

---

(١) مصدر سابق، ص ١٣٢.

(٢) عثمان صالح سبى: جغرافية إريتريا، دار الكنوز الأدبية ص ١٨-١٩، بيروت ١٩٨٣.

(٣) نفس المصدر السباق، ص ١٩.

بتنوع المناخ واختلاف التضاريس الطبيعية - فإلى جانب السهول في الجزء الغربي التي تتشابه مع صحارى السودان الشمالي - نجد غابات شبه استوائية هي مناطق الجاش، وهضابًا مرتفعة في الوسط، وصحراء بركانية في منطقة دنكاليا في الجنوب هكذا.

وتكوين إريتريا الجغرافي وتضاريسها، ينعكس أكثر من أي شيء آخر على الظروف السكانية[1].

وفي الخريطة تظهر إريتريا على شكل مثلث غير متناسق الأضلاع، تمتد قاعدته من الشرق إلى الغرب، ويتجه رأسه إلى الشمال وضمن هذا الإطار المثلث الشكل[2].

---

(١) أنظر كتاب جغرافية إريتريا، للمناضل عثمان صالح سبي.

(٢) س.ف. تايدل: التركيبة السكانية في إريتريا، العناصر والقبائل، دار المسيرة ببيروت يناير ١٩٤٤، ص٩.

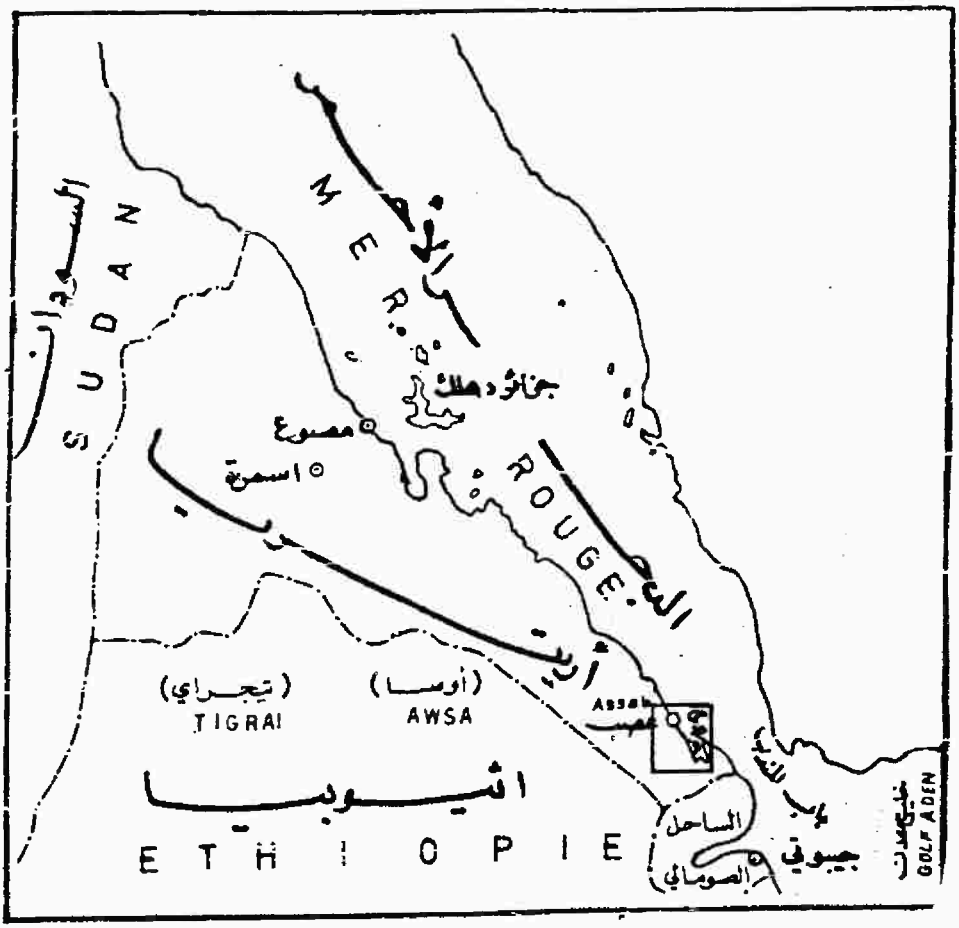

أريتريا -- على الخريطة الافريقية

وتنقسم إريتريا إلى عدة أقسام بالمصطلح الجغرافى إلى السهل الشرقى الغربى للهضبة الوسطى، والتلال الشمالية، هذا التباين من التضاريس ينعكس على الظروف المناخية.

٣ - تسمية إريتريا:

عرفت إريتريا فى عهد الفراعنة المصريين واليونانيين والرومان، حيث أطلق عليها اسم البحر الأحمر نسبة إلى البحر الأحمر. وكان فى اليونان قديما جزيرة تحمل اسم إريتريا تجاه الشاطىء الشرقى لبلاد الإغريق، وفى أيام مجدها الساطع سينوس إريتريوم على البحر الأحمر وشواطئه، التي سيطروا عليها عندما خضعت أدوليس لنفوذهم.

كما عرفت إريتريا فى العصور الوسطى وفى بداية العصور الحديثة بـ «بحرى مدرى Bahrmeder أو مدرى بحرى Medribahri، أى بلاد الشاطىء أو الأقاليم المطلة على البحر الأحمر، وهى تسمية محلية إريترية كما عرفت أيضا أجزاء منها لدى المؤرخين المسلمين ببلاد الطراز الإسلامى، أو بلاد الجبرت. وعندما احتل الإيطاليون سواحل البحر الأحمر، الممتد من رحيتا جنوبا إلى رأس قصار شمالاً، فأطلقوا عليها اسم إريتريا تجديداً للتسمية الرومانية القديمة لساحل أدوليس، وذلك بالمرسوم الذى أصدره إمبرتو الأول ملك إيطاليا فى ١٨٨٩/١/١[١].

---

(١) رجب حراز (دكتور) إريتريا الحديثة. ١٥٥٧-١٩٤١ المنظمة العربية للتربية والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٧٤.

وهكذا فإن إريتريا، جغرافيًا، من أهم البلدان المطلة على المدخل الجنوبى للبحر الإحمر، وتظهر أهمية ذلك بالمدى الذى تتضح فيه أهمية التراب الجغرافى والاستراتيجى بين البحر الأحمر وحوض البحر المتوسط، هذه حقيقة تاريخية أثبتتها وقائع الأحدث القديمة والمعاصرة. وقد ابتدأ بها التاريخ الإريترى، وخاض حساب الرهان بها. ومشكلة إريتريا كانت فى الأساس - كما أوضحت - هى مشكلة موقعها الجغرافى وارتباط تاريخها به. وهى جزء من الشرق الأوسط بحكم موقعها فيه وهى.. جزء حيوى من أجزائه بحكم إطلالتها الساحلية على البحر الأحمر ومضيقه الجنوبى. فأضافت إلى أهمية موقعها الجغرافى العام أهمية موقعها الساحلى الخاص، ومن ناحية أخرى تضيف إريتريا إلى هذه الميزة الجغرافية موقعها كإحدى بلدان القرن الأفريقى، حيث تمتد إلى الداخل بعمق يعادل ١٢٠ ألف كم مربع، تلامس شمالاً وغرباً السودان، وتتدرج فى الارتفاع جنوبًا، حتى تندمج فى بدايات الهضبة الإثيوبية الشمالية، وتمتد أطرافها الساحلية المنحدرة لتتلاشى فى الشرق الصحراوى الضيق، حتى تنتهى لدى العمق الجنوبى عن جيبوتى[1]. وبحكم هذا الموقع الجغرافى، جمعت إرتيريا بين الخلفية الأفريقية والإطلالة الساحلية على الشواطىء العربية الأسيوية فاكتسبت عدة سمات حضارية وتاريخية مشتركة، جعلت منها قاسما مشتركا من حضارات الشعوب من حولها، وللأحداث التاريخية التى عاشتها، وهكذا أصبحت إريتريا محطة للتفاعلات دوما بين مقدمتها الساحلية العربية وخلفيتها الأفريقية، وفى إطار هذا التركيب

(١) مصدق سابق، ص ١٣٤.

الجغرافى ذى الأبعاد المزدوجة وذى الصباغ الزمانى التاريخى المتصل بكل الشعوب والحضارات، التى امتد تأثيرها إلى حوض البحر الأحمر وإريتريا، سواء الحضارى والاجتماعى والثقافى. وهكذا، كانت إريتريا بحكم موقعها الجغرافى مسرحاً دائماً لموجات متتالية من الهجرات البشرية سامية، حامية، زنجية، حتى يمكن أن يقال: إن الشعب الإريترى هو مزيج من هذه الشعوب العربية، إلا أن الانصهار على مدى التاريخ والترابط فى إطار المصالح والتعدد. والتى لا تنفرد بها إريتريا وحدها، فنادراً ما يوجد فى العالم الواحد تجانس فى إطار التعدد سمة مألوفة فى كل أقطار الدنيا[1] وهكذا ، فإنه من الواضح أن صلة الساحل الغربى بنظيره الشرقى كانت قوية، إذ تشير الكتابات المعاصرة إلى حدوث هجرة عربية، شملت قبائل بأكملها أو بطوناً كثيرة قبل الميلاد، وذلك مثل هجرة قبيلة حبشات وقبيلة الاجازيان فالأولى عرفت بلاد الساحل الغربى باسمها، فيما بعد وهو الحبشة، والثانية عرفت لغة المنطقة، وهى اللغة الجئزية [2].

وتعطى هذه الموجزات مؤشراً على عمق الاتصال العربى الأفريقى فى هذه الفترة بين اضطلاع العرب بدور مهم والتجارة بين الساحلية واستقرار بعضهم، بل وتزايد أعدادهم بمضى الوقت، وتوغلهم فى قلب الحبشة نفسها حتى ظهرت محطات تجارية عربية فى مناطق متفرقة، ولاسيما فى شمال أثيوبيا بإقليم تجراى، حالياً، والتى صارت تضم أرستقراطية عربية،

---

(١) المزيد من التفاصيل انظر كتاب «تاريخ إريتريا أرضا وشعبا» للمؤلف، القاهرة ١٩٩٤.

(٢) السيد علي أحمد فليفل (دكتور): معالم التاريخ الإريتري، حتي نهاية الاستعمار الإيطالي، في كتاب «إريتريا، دراسة مسحية شاملة»، أعده معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٩٦.

تتولى الحكم والإدارة بفضل تفوقها الحضارى. وقد دخلت هذه الأرستقراطية فى مصاهرات مع العناصر الحامية من سكان المنطقة[١].

ويشير الدكتور سيد فليفل فى بحثه قائلاً: «إنه من المؤكد أن الاستقرار العربى قد سبق ببضعة قرون قيام مملكة أكسوم الحبشية، التى ظهرت إلى الوجود فى القرن الأول».

وهكذا كانت إريتريا بحكم موقعها الجغرافى مَعْبراً لشعوب عدة، تركت كلها سماتها الواضحة، كما أوضحنا، فى المجموعات البشرية التى تسكن كل القسم الغربى من ساحل البحر الأحمر، بما فيها إريتريا الذى يمثل خليطاً من العناصر السامية والحامية والزنجية[٢].

---

(١) انظر لمزيد من التفاصيل الدراسة التي قدمها الدكتور سيد علي فليفل حول معالم التاريخ الإريتري في المصدر المذكور. ١٩٩٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) آمال إسماعيل شادر (دكتورة): إريتريا دراسة جغرافية نفس المصدر السابق، ص١٨.